أكاديمية الإمام الذهبي

للعلوم الشرعية

شرح

مائة المعاني والبيان

لزين الدين أبي الوليد محمد بن محمد الحلبي الحنفي المعروف بـ ابن الشحنة

(ت:٨١٥هـ)

المحاضرة التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله البديع الهادي، إلى بيان مهيع الرشاد، أمدَّ أرباب النهى ورسما، شمس البيان في صدور العُلَما، فأبصروا معجزة القرآن، واضحة بساطع البرهان.

ثم صلاة الله ما ترنَّما، حادٍ يسوق العيس في أرض الحمى، على نبينا الحبيب الهادي، أجلِّ كلِّ ناطقٍ بالضاد، محمدٍ سيدِ خلقِ اللهِ، العربيّ الطاهرِ الأوّاهِ، ثم على صاحبه الصدّيقِ، حبيبِه وعمرَ الفاروقِ، ثم أبي عمرو إمام العابدينْ، وسطوةِ الله إمامِ الزاهدينْ، ثم على بقية الصحابةْ، ذوي التقى والفضل والإنابةْ، والمجدِ والفُرصةِ والبراعةْ، والحزمِ والنجدةِ والشجاعةْ، ما عكف القلب على القرآنِ، مرتقياً لحضرة العرفانِ.

أما بعد: فهذه هي المحاضرة التاسعة من محاضرات شرح منظومة مائة البيان والمعاني، لابن الشحنة الحنفي رحمه الله، التابعة للفصل الدراسي الثاني، من السنة الدراسية الثالثة، في أكاديمية الإمام الذهبي رحمه الله.

فأقول وبالله التوفيق ومنه العون والتسديد:

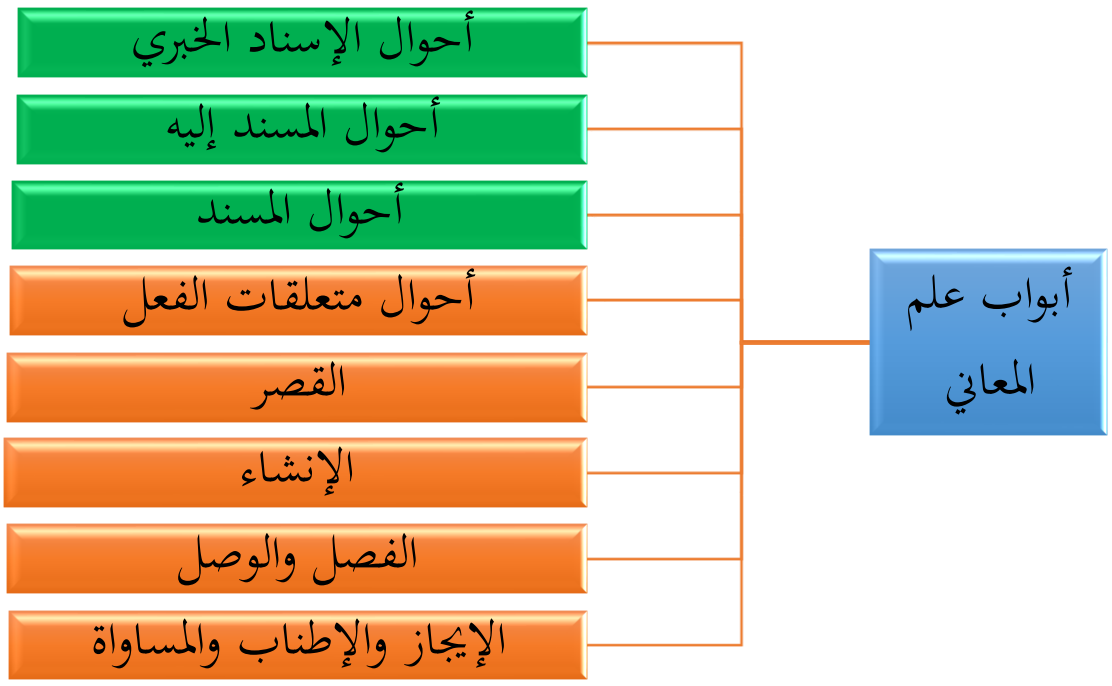

الخروج عن مقتضى الظاهر

قال الناظم رحمه الله:

..... وَقَدْ عَلَى خِلاَفِ الظَّاهِرِ يَأْتِي كَأَولَى وَالْتِفَاتٍ دَائِر

الشرح:

كل ما ذكره المصنف رحمه الله فيما سبق مما يتعلق بالمسند إليه لذاته – الحذف / الذكر / التعريف / التنكير / التقديم، أو مما يتعلق بالمسند إليه من متعلقاته – الوصف / التوكيد / عطف البيان / البدل / عطف النسق / ضمير الفصل، كان على مقتضى الظاهر، وقد يخرج عن مقتضى الظاهر لأمور بلاغية، تؤثر في النفوس والأفكار، وهي كثيرة، والمصنف رحمه الله ذكر منها أمرين:

١- **الأَولى (أسلوب الحكيم):** صَرْفُ كلامِ المتكلّم أو سؤال السائل عن المراد منه، وحَمْلُه على ما هو الأَوْلَى بالْقَصْد، أو إجابته على ما هو الأولى بالقصد.

فهو قسمان:

- حَمْلُ كلام المتكلّم على غير ما يُريد به، تنبيهاً على أنَّه الأولى بالْقَصْد.

كقول الله عزَّ وجلَّ بشأن قول المنافقين في غزوة بني المصطلق، وما بنى الله عزَّ وجلَّ عليه: {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُون}.

- إجابة السائل بغير ما يطلُبُ في سؤاله؛ لتنبيهه على أنّه الأَمْر الأَهَمُّ الذي كان ينبغي أن يسأل عنه.

{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَآ أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}.

٢- **الالتفات:**

هو التحويل في التعبير الكلاميّ من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث: "التكلّم – والخطاب – والغيبة"

ومنه حديث الله عزّ وجلَّ عن نفسه بأسلوب الحديث عن الغائب في القرآن المجيد، كقوله {وَإِذْ **قَالَ** رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ **قَالَ** إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٣٠)}.

ومقتضى الظاهر أن يقال: وإذا قلتُ للملائكة – قلتُ: إني أعلم ما لاتعلمون.

ومه خطاب الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم كقوله { **عبس وتولى** * أن جاءه الأعمى}

ومقتضى الظاهر عبستَ وتوليتَ.

١- **الالتفات في الضمائر:** وشرطه أن يعود الضمير الثاني على الضمير الأول، والضمائر ثلاثة: متكلم – مخاطب – غائب، فينتج عندنا ست صور نذكر منها:

a. **الالتفات من التكلم إلى الخطاب:** كقوله تعالى {وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ ياقَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُواْ مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لاَ **أَعْبُدُ** الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ **تُرْجَعُونَ** (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونَ (٢٣)}.

b. **الالتفات من الخطاب إلى التكلم:** كقوله تعالى { وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا **قُلِ** اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ **رُسُلَنَا** يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ}

a. **الالتفات من التكلم إلى الغيبة:** كقوله تعالى {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا **نَزَّلْنَا** عَلَى **عَبْدِنَا** فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ **دُونِ اللَّهِ** إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

b. **الالتفات من الغيبة إلى التكلم:** كقوله تعالى {**وَاللَّهُ** الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً **فَسُقْنَاهُ** إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ **فَأَحْيَيْنَا** بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ}.

c. **الالتفات من خطاب إلى الغيبة:** كقوله تعالى { {هُوَ الَّذِي **يُسَيِّرُكُمْ** فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا **كُنتُمْ** فِي الْفُلْكِ **وَجَرَيْنَ** بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَاذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}

d. **الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:** كقوله تعالى {**وَقَالُواْ** اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً (٨٨) لَّقَدْ **جِئْتُمْ** شَيْئاً إِدّاً (٨٩)}.

٢- **الالتفات في الأفعال:** ومن صوره في القرآن الكريم:

a. **الالتفات من الماضي إلى الأمر:** كقوله تعالى { قُلْ **أَمَرَ** رَبِّي بِالْقِسْطِ **وَأَقِيمُوا** وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ **وَادْعُوهُ** مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}

b. **الالتفات من المستقبل للماضي:** كقوله تعالى {وَيَوْمَ **يُنْفَخُ** فِي الصُّورِ **فَفَزِعَ** مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ}

٣- **الالتفات في الأعداد:** ومن صوره في القرآن الكريم:

a. **الالتفات من خطاب الواحد إلى خطاب الاثنين:** كقوله تعالى {قَالُوا **أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا** عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ **لَكُمَا** الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ **لَكُمَا** بِمُؤْمِنِينَ}

b. **الالتفات من خطاب الواحد إلى الجمع:** كقوله تعالى {يَاأَيُّهَا **النَّبِيُّ** إِذَا **طَلَّقْتُمُ** النِّسَاءَ **فَطَلِّقُوهُنَّ** لِعِدَّتِهِنَّ **وَأَحْصُوا** الْعِدَّةَ **وَاتَّقُوا** اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ}

c. **الالتفات من خطاب الجمع إلى الواحد:** كقوله تعالى {قُلْنَا **اهْبِطُوا** مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ **تَبِعَ** هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}

قال الناظم رحمه الله: **البابُ الثَّالِثُ : أَحوَالُ المُسْنَدِ**

لِمَـا مَضَـــى التَّرْكُ مَعَ القَرِينَـهْ وَالـذِّكْرُ أَوْ يُـفِـيـدُنَا تَـعْـيِـيـنَـهْ

وَكَـونُـهُ فِـعْـلاً فَـلِـلـتَّـقـيُّـدِ بِالْـوَقـتِ مَـعْ إِفَـادَةِ الـتَّـجَـدُّدِ

وَاسْمـاً فَـلِانْـعِـدَامِ ذَا وَمُـفْـرَدَا لأَنَّ نَفْسَ الحُكْمِ فيـهِ قُصِـــدَا

وَالْـفِـعْـلُ بِالْـمَـفْـعُولِ إِنْ تَـقَـيَّـدَا وَنَحْـوِهِ فَـلِـيُـفِـيـدَ زَائِـدَا

وَتَـرْكُـهُ لِـمَـانِـعٍ مِـنْـهُ وَإِنْ بِالشَّـــرْطِ بِاعتِبـارِ مَـا يَجِيءُ مِنْ

آدَابِـهِ وَالجَـزْمُ أَصْـــلٌ فِي إِذَا لاَ إِنْ وَلَـوْ وَلاَ كـذَاكَ مَـنْـعُ ذَا

وَالْوَصْـــفُ وَالتَّعْرِيفُ وَالتَّـأْخِيرُ وَعَـكْسُـــهُ يُـعْـرَفُ وَالـتَّـنـكِـيرُ

الشرح:

تقسم الجملة في اللغة العربية إلى قسمين لا ثالث لهما:

١- الجملة الإسمية: لها ركنان: المبتدأ (المسند إليه) – الخبر (المسند)، نحو: زيدٌ ناجحٌ.

٢- الجملة الفعلية: لها ركنان: الفعل (المسند) – الفاعل أو نائب الفاعل (المسند إليه)، نحو: قام زيد – ضُرِبَ بكرٌ.

فالكلام في هذا الباب عن الخبر والفعل، وفي هذا الباب مسائل سبق ذكرها في باب المسند إليه، وعادة البلاغيين الإشارة إليها دون ذكرها، بقصد الاختصار.

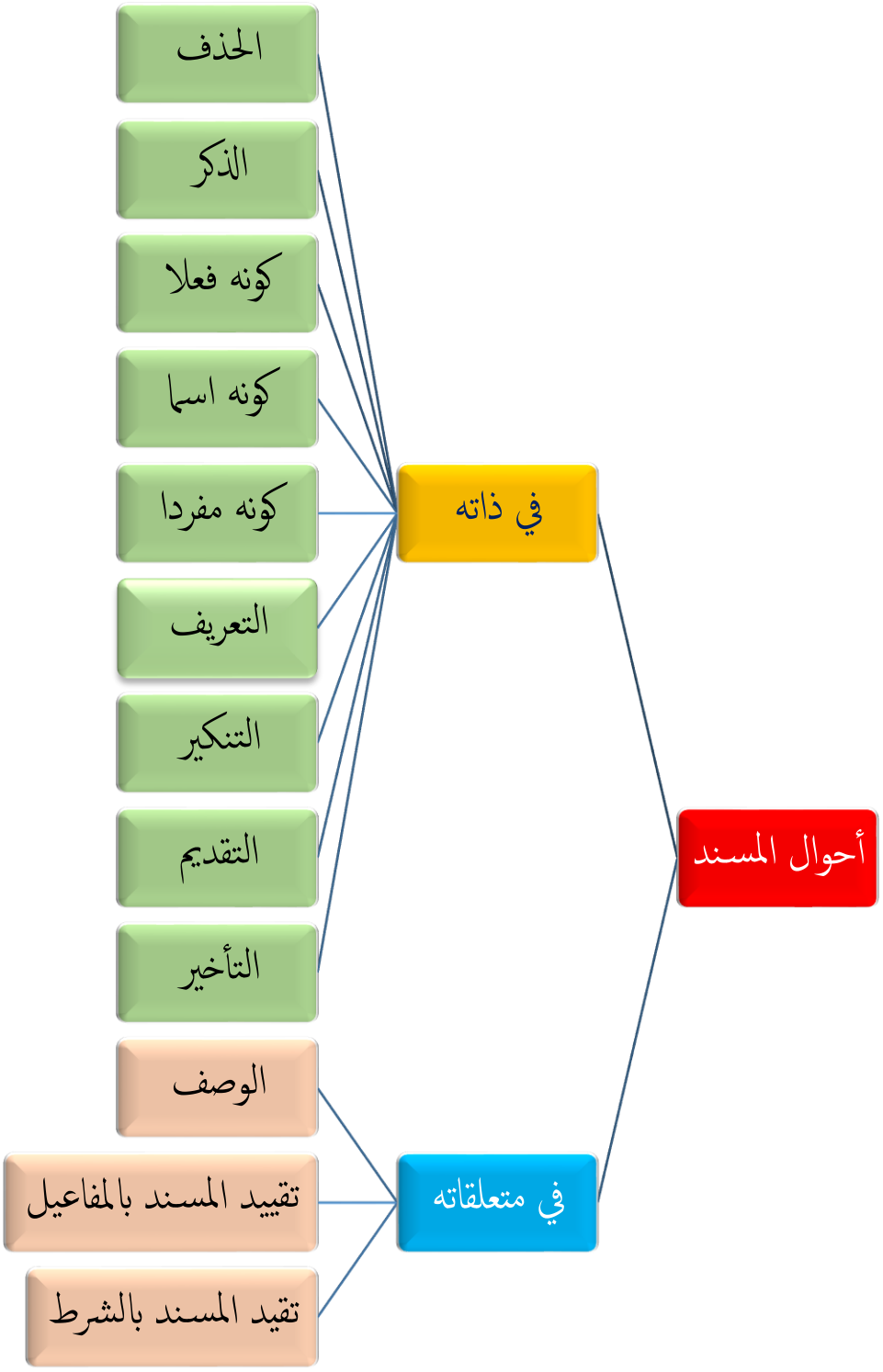
أحوال المسند
في ذاته
في متعلقاته
الحذف
الذكر
كونه فعلا
كونه اسما
كونه مفردا
التعريف
التنكير
التقديم
التأخير
الوصف
تقييد المسند بالمفاعيل
تقيد المسند بالشرط

أحوال المسند من حيث ذاته

١- حذف المسند:

قال الناظم رحمه الله:

لِمَـا مَضَـــى **التَّرْكُ** مَعَ القَرِينَـهْ .....

ذكر الناظم رحمه الله أن من أحوال المسند في ذاته، الحذف، وأن الأغراض البلاغية لحذف المسند هي نفسها التي مرت في المسند إليه، عند قوله:

والحذف للصون وللإنكار ***** والاحتراز أو للاختبار.

كقوله تعالى {**وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**} أي: ورسوله بريء، فحذف المسند احترازا عن العبث.

لكن نبه هنا على أمر مهم وهو أنه لا بد مع الحذف من وجود قرينة تدل عليه، سواء كانت القرينة مذكورة أم مقدرة، فالمذكورة نحو قوله { **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**}، أي: خلقهن الله.

والمقدرة نحو قوله { **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**} أي: كأنه قيل: من يسبحه؟

٢- ذكر المسند:

قال الناظم رحمه الله:

..... **وَالـذِّكْـرُ** أَوْ يُـفِـيـدُنَا تَـعْـيِـيـنَـهْ

ذكر الناظم رحمه الله أن من أحوال المسند في ذاته، الحذف، وأن الأغراض البلاغية لحذف المسند هي نفسها التي مرت في المسند إليه، عند قوله:

والذكر للتعظيم والإهانة ******والبسط والتنبيه والقرينة

كقوله تعالى { **قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**} فذكر المسند تنبيها على غبائهم في عبادتهم للأصنام.

لكن نبه على أمر مهم وهو أن من فوائد ذكر المسند هو تعيينه من كونه اسما، فحينها أفاد الثبوت، أو كونه فعلا، فحينها أفاد التجدد والحدوث، أو من كونه مفردا، أو جملة، أو شبه جملة، وهذا بخلاف

المسند إليه فذكره لا يفيد تعيينه؛ لأنه لا بد أن يكون اسما مفردا، ثم شرع الناظم رحمه الله في بيان فائدة كونه اسما أو فعلا أو مفردا.

٣- كون المسند فعلا:

قال الناظم رحمه الله:

وَكَـونُـهُ **فِـعْـلاً** فَـلِـلـتَّـقـيُّـدِ بالْـوَقـتِ مَـعْ إِفَـادَةِ الـتَّـجَـدُّدِ

ذكر الناظم رحمه الله أن من الأغراض البلاغية للإتيان بالمسند فعلا ما يلي:

- **التقييد بالوقت:** كل فعل يدل على أمرين بصيغته: الدلالة على الحدث – الدلالة على الزمن، نحو قولك: صام زيد – يصوم زيد – صم زيدا.

وهذا بخلاف الاسم فإنه يدل على الحدث فقط، نحو زيد صائم، ولا يدل على الزمن إلا بالقرينة نحو: زيد صائم الآن – غدا – أمسِ.

وعليه فقولك: قدم زيد، يغنيك عن قولك: قدوم زيد أمسِ، فيكون الإتيان بالمسند طريقا من طرق الإيجاز في الكلام، الذي هو من بلاغة العرب في كلامها.

- **إفادة التجدد:** والمراد بالتجدد أمران:
  - حدوث الفعل بعد العدم: وهذا يكون بالدلالة الوضعية لكل الأفعال (الماضي والمضارع والأمر)
  - استمرار الفعل: وهذا يكون بالقرينة، نحو قولك: كلما نجح زيد أكرمه، أو قولك: يكتبُ زيدٌ.

قال تعالى { **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**} فجاء المسند على هيئة للفعل لدلالة على أن فعل الخداع منهم متجدد ومستمر؛ لدلالة على ما في قلوب هؤلاء من الغل والحقد والكره علىهذا الدين.

٤- كون المسند اسما:

قال الناظم رحمه الله:

وَاسْـمـاً فَـلِاِنْـعِـدَامِ ذَا ....

ذكر الناظم رحمه الله أن من الأغراض البلاغية للإتيان بالمسند اسما عدم التقيد بالزمن وعدم إرادة التجدد، بل للدلالة على الثبوت، أي: حصول المسند للمسند إليه من غير تقييد بزمن أو تجدد، بل هو ثابت للمسند إليه.

قال تعالى {**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**} إشارة من هؤلاء إلى أن الاستهزاء صفة ثابتة للمؤمنين، فلم تكن معدومة ثم وجدت، بل هي موجودة ثابتة أصلا، ولذلك رد الله عليهم بقوله {**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦)**}

٥- كون المسند مفردا:

قال الناظم رحمه الله:

..... وَمُــفْــرَدَا لأنَّ نَفْسَ الحُكْمِ فيـهِ قُصِـــدَا

ذكر الناظم رحمه الله أن من الأغراض البلاغية للإتيان بالمسند مفردا، أن المقصود هو نفس الحكم، لا التوكيد الذي يفيده المسند لو كان جملة.

يطلق المفرد عند النحاة ويراد به عدة معان:

- ففي باب الإعراب يراد به ما ليس مثنى ولا جمعا، نحو: مسلم – مسلمة.
- وفي باب العلم يراد به ما ليس مركبا، نحو: زيد – هند.
- وفي باب المنادى وخبر لا النافية للجنس يراد به ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف نحو: يا زيد – يا هند.
- وفي باب الخبر يراد به ما ليس جملة ولا شبه جملة نحو: زيد قائم – الهندان قائمتان – المسلمون فائزون، وهو المراد بالمفرد في هذا الموضع أن يكون الخبر ليس بجملة ولا شبهة جملة.

وعليه فالمتكلم: إما أن يقصد بالخبر نفس الحكم: فهنا يأتي بالخبر مفردا نحو: زيد قائم.

وإما أن يقصد بالخبر التأكيد وتقوية الحكم: فيأتي بالخبر جملة أو شبه جملة نحو قوله تعالى { **وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**}

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم